مَرْكَزُ الْفُهُومِ وَالْمَعَانِي

اَلرِّسَالَةُ الصَّادِقَةُ الْمُبَارَكَةُ

الشيخ السيد الحاج مالك سي

رسائل · 15 paragraphes

1 بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

2 اَلْحَمْدُ لِلَّهِ وَحْدَهُ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مَنْ لَا نَبِيَّ بَعْدَهُ،

3 وَبَعْدُ:

4 فَهَذِهِ وَصِيَّةٌ جَلَبَهَا قَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اَلدِّينُ النَّصِيحَةُ»، قِيلَ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: لِمَنْ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ فَقَالَ: «لِلَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى وَلِرَسُولِهِ وَلِأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَلِعَامَّتِهِمْ»، مِنَ الْعَبْدِ الْفَقِيرِ، اَلْحَاجِّ مَالِكٍ – سَلَكَ اللَّهُ بِهِ أَحْسَنَ الْمَسَالِكِ – إِلَى جَمِيعِ الْإِخْوَانِ:

5 سَلَامٌ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ تَعَالَى وَبَرَكَاتُهُ

6 أُحَذِّرُكُمْ – يَا إِخْوَانِي – عَنْ ثَلَاثَةٍ:

7 اَلْأُولَى: مَنْ يَضْمَنُ لَكُمُ الْجَنَّةَ.

8 وَالثَّانِيَةُ: مَنْ يَأْتِي مَرِيضَكُمْ وَيَدَّعِي أَنَّهُ قَادِرٌ عَلَى إِبْرَائِهِ، فَإِنَّ الْجَنَّةَ وَالشِّفَاءَ بِيَدِ اللَّهِ تَعَالَى، فَلَيْسَ بِيَدِ الْعَبْدِ إِلَّا الدَّلَالَةُ عَلَى الْخَيْرِ، وَالدُّعَاءُ، وَغَيْرُ ذَلِكَ دَعْوَى لَا بَيِّنَةَ لَهَا.

9 وَالثَّالِثَةُ: مَنْ يَأْتِيكُمْ وَيَقُولُ لَكُمْ: يَأْتِيكُمُ الْوَبَاءُ وَالْبَلَاءُ إِنْ لَمْ تَكْتُبُوا الشَّيْءَ الْفُلَانِيَّ أَوْ تَدْعُوا بِالدُّعَاءِ الْفُلَانِيِّ، أَوْ يَأْمُرُكُمْ بِذَبْحِ شَيْءٍ مِنَ الْحَيَوَانِ، أَوْ يَأْمُرُكُمْ بِتَزْوِيجِ بَنَاتِكُمْ بِغَيْرِ مَهْرٍ، وَذَلِكَ ضَرَرٌ كَبِيرٌ لِمَنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ قُوَّةٌ عَلَى تَجْهِيزِ الْبِنْتِ مِنْ جِهَتِهِ، أَوْ يَقُولُ لَكُمْ: هَذَا الْكِتَابُ مِنْ أَحَدِ الْحَرَمَيْنِ الشَّرِيفَيْنِ، وَكُلُّ ذَلِكَ كَذِبٌ وَغُرُورٌ وَتَجْنِينٌ، إِذْ لَوْ كَانَ ذَلِكَ حَقًّا لَأَتَى بِهِ الْحُجَّاجُ، كُونُوا بِعُقُولِكُمْ، وَمَنْ أَرَادَ مِنْكُمُ الِاسْتِعَاذَةَ فَلْيَسْتَعِذْ بِالْآيَاتِ الْقُرْآنِيَّةِ، أَوْ بِالدَّعَوَاتِ النَّبَوِيَّةِ، «كُلُّ الصَّيْدِ فِي جَوْفِ الْفَرَى» «وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا»، وَفِي رِسَالَةِ سَيِّدِنَا عَبْدِ اللَّهِ ابْنِ أَبِي زَيْدٍ الْقَيْرَوَانِيِّ ﵀: "وَتَرْكُ كُلِّ مَا أَحْدَثَهُ الْمُحْدِثُونَ".

10 وَآكَدُ مَا أُحَذِّرُكُمْ بِهِ بَعْدَ نَفْسِي كَلِمَةٌ تَوَارَثْتُمُوهَا مُنْذُ زَمَانٍ، وَهِيَ قَوْلُكُمْ: "فُلَانٌ يَأْكُلُ النَّاسَ"، وَمَنْ مَاتَ مِنْكُمْ لَا تَقُولُونَ ٱنْقَضَى أَجَلُهُ، بَلْ تَقُولُونَ: مَاتَ بِسَبَبِ الْمَخْصُوصِينَ مِنْكُمْ بِتِلْكُمُ الْكَلِمَةِ، وَتِلْكُمُ الْكَلِمَةُ لَا يَقُولُهَا إِلَّا مَنْ لَمْ يُرِدْ نَجَاةَ نَفْسِهِ غَدًا؛ لِأَنَّ يَوْمَ الْحِسَابِ لَيْسَ بِيَوْمِ الظَّنِّ، وَلَاسِيَّمَا الْوَهْمُ، وَكُلُّ مَا لَا تُجَاوِبُونَ بِهِ مَوْلَاكُمْ غَدًا إِلَّا "ظَنَنْتُ"، وَأَوْلَى "تَوَهَّمْتُ"، فَمُوجِبٌ لِلْهَلَاكِ؛ لِأَنَّ ذَلِكَ الْأَمْرَ وَإِنْ كَانَ فَلَيْسَ لَنَا عِلْمٌ بِتَحَقُّقِهِ، وَلِذَلِكَ وَجَبَ السُّكُوتُ عَنْهُ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿**وَتَقُولُونَ بِأَفْوَٰهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ**﴾ [النور: 15] ، وَرَأَيْتُ فِي بَعْضِ الْكُتُبِ أَنَّ ٱسْمَهُ وَحِجَابَهُ كَذَا، وَلَكِنَّ ذَلِكَ لَا يَكْفِي دَلِيلًا، لِأَنَّ كُلَّ دَلِيلٍ لَمْ يَأْتِ مِنَ الْكِتَابِ وَلَا مِنَ السُّنَّةِ وَلَا مِنَ الْإِجْمَاعِ فَلَا يُحْتَجُّ بِهِ، اِنْتَهَى.

11 وَاعْلَمُوا أَنَّ جَوْرَ الْمُلُوكِ بِسَبَبِ الْمَعَاصِي؛ لِأَنَّهُمْ سَوْطُ اللَّهِ فِي أَرْضِهِ، وَفِي بَعْضِ الْكُتُبِ: "أَنَا اللَّهُ مَلِكُ الْمُلُوكِ، قُلُوبُ الْمُلُوكِ وَنَوَاصِيهِمْ بِيَدِي، فَإِنِ الْعِبَادُ أَطَاعُونِي جَعَلْتُهُمْ لَهُمْ رَحْمَةً، وَإِنِ الْعِبَادُ عَصَوْنِي جَعَلْتُهُمْ عَلَيْهِمْ عُقُوبَةً، فَلَا تَشْتَغِلُوا بِسَبِّ الْمُلُوكِ، وَلَكِنْ تُوبُوا إِلَيَّ أَعْطِفْهُمْ عَلَيْكُمْ، وَهُوَ مَعْنَى قَوْلِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «كَمَا تَكُونُوا يُوَلَّ عَلَيْكُمْ»، مَعْنَاهُ: إِنْ كُنْتُمْ مِنْ أَهْلِ الطَّاعَةِ يُوَلَّ عَلَيْكُمْ أَهْلُ الرَّحْمَةِ، وَإِنْ كُنْتُمْ مِنْ أَهْلِ الْمَعْصِيَةِ يُوَلَّ عَلَيْكُمْ أَهْلُ الْعُقُوبَةِ.

12 وَجَاءَ فِي الْخَبَرِ: أَنَّ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ فِي مُنَاجَاتِهِ: يَا رَبِّ، أَنْتَ فِي السَّمَاءِ وَنَحْنُ فِي الْأَرْضِ، فَمَا عَلَامَةُ سُخْطِكَ مِنْ رِضَاكَ؟ فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ: إِذَا اسْتَعْمَلْتُ عَلَى النَّاسِ خِيَارَهُمْ فَهُوَ عَلَامَةُ رِضَايَ، وَإِذَا اسْتَعْمَلْتُ شِرَارَهُمْ فَهُوَ عَلَامَةُ سُخْطِي عَلَيْهِمْ، اِنْتَهَى مِنْ رُوحِ الْبَيَانِ.

13 وَرَاعُوا قَوْلَ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿**إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا**﴾ [النساء: 58]، وَمِنَ الْأَمَانَاتِ مَا يَتَعَلَّقُ بِاللَّهِ تَعَالَى، وَمَا يَتَعَلَّقُ بِالنَّاسِ، فَلَا بُدَّ مِنْ إِيفَاءِ كِلَا الْأَمْرَيْنِ، وَاحْذَرُوا ٱجْتِنَابَ بَعْضِ الْأَيَّامِ، فَإِنَّ إِمَامَ الْمَدِينَةِ مَالِكَ بْنَ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ رَدَّ جَمِيعَ مَا رُوِيَ فِيهَا مِنَ الْأَحَادِيثِ، قَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: "اَلْأَيَّامُ كُلُّهَا لِلَّهِ"، أَفْشُوا السَّلَامَ بَيْنَكُمْ وَلَوْ فِي الْمَسَاجِدِ، وَلَكِنْ بَعْدَ أَدَاءِ تَحِيَّةِ الْمَسَاجِدِ، وَرَاعُوا حُقُوقَ عِيَالِ اللَّهِ الَّذِينَ تَحْتَ أَيْدِيكُمْ، وَصِلُوا أَرْحَامَكُمْ: لِأَنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لَا يَصِلُ مَنْ لَا يَصِلُ، الْجَزَاءُ مِنْ جِنْسِ الْعَمَلِ، وَبِرُّوا وَالِدَيْكُمْ: لِأَنَّ الْقُرْآنَ مَشْحُونٌ بِذَلِكُمْ، وَبَجِّلُوا الْمَشَايِخَ: لِأَنَّهُمُ الْهُدَاةُ، ٱرْحَمُوا تُرْحَمُوا، وَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ يُعَامِلُ أَحَدًا – كَافِرًا كَانَ أَوْ مُؤْمِنًا - فَلْيُعَامِلْهُ بِالصِّدْقِ وَالْعَدْلِ، وَلَا تَغْتَرُّوا بِالْمَسَائِلِ الْمَلْقُوطَةِ، فَإِنَّ ابْنَ الْحُرَّةِ لَا يُفْتِي بِالطُّرَّةِ، وَفِي الْمُعَامَلَةِ يَتَسَاوَى مَالُ الْكَافِرِ وَمَالُ الْمُؤْمِنِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿**لَّا يَنۡهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمۡ يُقَٰتِلُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ وَلَمۡ يُخۡرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمۡ أَن تَبَرُّوهُمۡ وَتُقۡسِطُوٓاْ إِلَيۡهِمۡ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ**﴾ [الممتحنة: 8]، وَمَا يَقُولُهُ بَعْضُ مَنْ يَدَّعِي الْعِلْمَ أَنَّ أَمْوَالَهُمْ حَلَالٌ لَنَا، لَيْسَ بِشَيْءٍ؛ لِأَنَّ الْحَلَالَ لَهُ شُرُوطٌ لَا يَعْرِفُهَا إِلَّا ذَوُوا الْعِلْمِ، وَرَاجِعُوا قَوْلَ الْإِمَامِ فَخْرِ الدِّينِ الرَّازِي فِي تَفْسِيرِهِ عِنْدَ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿**وَلَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَكُم بَيۡنَكُم بِٱلۡبَٰطِلِ وَتُدۡلُواْ بِهَآ إِلَى ٱلۡحُكَّامِ لِتَأۡكُلُواْ فَرِيقٗا مِّنۡ أَمۡوَٰلِ ٱلنَّاسِ بِٱلۡإِثۡمِ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ**﴾ [البقرة: 188]، وَلَازِمُوا تِلَاوَةَ كِتَابِ اللَّهِ الْعَزِيزِ، فَإِنَّهُ لَا يُتَوَصَّلُ إِلَيْهِ بِمِثْلِ كَلَامِهِ، وَالصَّلَاةَ عَلَى النَّبِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَيَكْفِي فِي فَضْلِهَا الْآيَةُ الْكَرِيمَةُ: ﴿**إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا**﴾ [الأحزاب: 56]، وَأَمَّا الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ فَإِنَّهُ حَبْلُ اللَّهِ الْمَتِينُ الَّذِي لَا يُخَافُ مِن انْفِصَامِهِ، وَهُوَ الَّذِي يُقَبِّلُ الْمَلَائِكَةُ الْكِرَامُ فَمَ قَارِئِهِ، أَعَانَنَا اللَّهُ وَإِيَّاكُمْ مِنْ مُلَازَمَتِهِمَا، وَحَشَرَنَا فِي زُمْرَةِ أَهْلِهِمَا، آمِينْ.

14 وَالْوَصِيَّةُ جَمَعْنَاهَا عَامَ ثَمَانِيَةٍ وَعِشْرِينَ وَثَلَاثِ مِئَةٍ وَأَلْفٍ مِنَ الْهِجْرَةِ النَّبَوِيَّةِ، عَلَى صَاحِبِهَا أَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ.

15 وَلِإِتْمَامِ النَّفْعِ كَتَبْنَاهَا بِلُغَتَيِ الْعَرَبِيَّةِ وَالْفَرَنْسَاوِيَّةِ عَامَ 1337 هِجْرِيَّةٍ.